الأزهـــر(*)

قَفْ في ربوعِ المجدِ وابكِ الأزهرا ... واندبْهُ روضاً للمكارمِ أَقْفرا
واكتبْ رثاءك فيهِ نفثةُ مُوجَعٍ ... واجعلْ مِدَادَكَ دمعَكَ المتحدِّرا
المعهدُ الفردُ الذي بجهادِهِ ... بلغتْ بلادُ الضَّادِ أعرافَ الذُّرى
سارَ الجميعُ إلى الأمامِ وإنَّه ... في موكبِ العلياءِ سارَ القهقري
لَهفي على صرحٍ تهاوى رُكنُهُ ... قد كانَ نبعاً بالفَخارِ تَفجرًّا
مَنْ كانَ بهجةَ كلِّ طرفٍ ناظرٍ ... عادتْ به الأطماعُ أشعَث أغبرا
ما أبقَتِ الأيدي التي عَبَثتْ به ... مِنْ مجدهِ عَرَضاً له أو جَوهرا(١)
للهِ ما أورى لهُ في الشَّرقِ مِنْ ... مجد على الأيَّامِ واراهُ الثَّرى
كَمْ موكبٍ في مصرَ سارَ إلى العُلا ... قدْ كانَ قائدَ ركبِهِ المتصَدِّرا
عجباً أيُدركُهُ الأفولُ لدى الضُّحى ... مِن بعدِ ما نَشَرَ العلومَ مُبكِّرا(٢)
سلْ مهبطَ الثوراتِ عنها إنَّه ... قَدْ كانَ ناديها وكان المنبِرا
المشعلونَ لنارِها أَبناؤُهُ ... تَخذوا به جُنداً هناكَ وعسكرا
والمُضرِمونَ أُوارها بلغاؤُهُ ... في نشرِ روحِ البَذلِ فاضوا أنهُرا
مِن كل ذي حجرٍ لخيرِ بلادِهِ ... رَسم المكيدةَ للدخيلِ ودبَّرا(٣)

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٨.

(١) العرض : المتاع الذي لا قيمة له، أو الشيء السريع الزوال وهو عكس الجوهر.

(٢) الأفول : الزوال.

(٣) ذي حجر : أي صاحب عقل، والحجر هنا بمعنى العقل.

لا ينثني عن بَعْثِها دمويةً ... أو يُدرِكَ النصرَ المُبين مُظفَّرا

سلْ موئلَ الأفذاذِ مِنْ أشياخِهِ ... عن معشرٍ كانوا به أُسدَ الشَّرى

العاملينَ لرفعةِ الإسلامِ ما ... منهم كهامٌ قد وَنى أو قصَّرا[1]

والمبتغينَ رضا الإلهِ وما ابتغَوْا ... من حاكمٍ عرضَ الحياةَ مُحقرا

كانوا المنارَ إذا الدياجي أَسدلتْ ... ثوبَ الظلامِ هدى الأنامَ ونَّورا

كانوا لِمَنْ ظلموا حصونَ عدالةٍ ... كانوا الشكيمَ لمن طغى وتجبَّرا[2]

ردُّوا غواةَ الحاكيمنَ، وغيرهُم ... لتملُّقِ الأهواءِ كانَ مُسخرا

لرضائها يُبدي الحرامَ مُحلَّلاً ... ويدكُّ معروفاً ويبني مُنكرا

في وجهِها وقفوا وهمْ عزلٌ وما ... لبسوا سوى ثوبِ الهدايةِ مغفرا[3]

وإذا رأى منهمْ هُمَامٌ رِيبةً ... ناداهُ داعي دينِهِ أن يزأرا[4]

ما قامَروا بالدِّينِ في سُبلِ الهوى ... كلا ولا اتخذوا الشريعةَ مَتجرا

عاشوا أئمةَ دينِهِم وحُماتَهُ ... لا يسمحُونَ بأن يُباعَ ويُشترى

ثُم انطوتْ تلكَ الشموسُ وإنَّها ... لأشدُّ إيماناً، وأطهرُ مئزرا

ولقد مضى دهرٌ ونحنُ مكانَنا ... لا نبتغي في العلمِ حظاً أكبَرا

إن كان مجدُ الأمسِ لم نلحق بِهِ ... أفلا نودُّ غداً نصيباً أوفرا

هذي العلومُ وحشوُها لغوٌ، بها ... من كلِّ جيلٍ لا يزالُ مُسطرا

علمٌ نعالجُهُ بفكرِ جُدودِنا ... يبدو بِهِ الهذرُ القديمُ مكررا

إنا نريدُ من التقدمِ قسطَنا ... ونريدُ للإسلامِ أَنْ يتحَرَّرا

ونريدُ أن نسقى الفنونَ رفيعةً ... تُجدي ـ وليستْ طلسَماً مُتحجرا

ما العلمُ إلا ما تراهُ لديكَ في ... لججِ الحياةِ إذا مضتْ بك مُثمرا

---

(١) الكهام : الكليل.

(٢) الشكيم : من الشكِّم بمعنى الجمراء، والشكيم الحديدة المعترضة في فم الفرس.

(٣) المغفر : زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

(٤) الهمام : الملك العظيم الهمة.

أنى لمـنْ أَلِفتْ نواظِرُهُ الـدُّجى عند الخروجِ إلى السَّنا أن يُبصِرا
قد كانَ تنقيـحُ العلومِ وفحصُها بالبحثِ من فرضِ العِمامةِ أجدرا
للمخبـرِ انتبهـوا، ولا يعنـيكُـمُ من بعـدِ هذا أن نُبـدِّل مَـظهـرا
أنكـونَ في دنيـا الـرقيِّ نعـامـةً نخفي الوجوه وقد عرانا ما عـرا
ما ضرَّني إذ نحنُ نخـدعُ نفسنا لو قلتُ ما أدري وفُهتُ بما أرى
ليس التعصُّبُ لـلأبـوةِ مـا نعي من أن أقـولَ الحقَّ فيهِ وأجهَـرا
أُترى تعودُ إلى المريضِ سلامـةٌ أمْ تصرعُ الآسقامُ من قد عَمَّرا؟!

* . * . * . *